**بين الهدى والرحمة والضلال والشقاء**

**وكما يقرن سبحانه بين الهدى و التقى والضلال و الغي , فكذلك يقرن بين الهدى والرحمة و الضلال و الشقاء , فمن الأول قوله : { أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون} البقرة 5, و قال أيضا :{ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة و أولئك هم المهتدون} البقرة 157.**

**وقال عن المؤمنين:{ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك انك أنت الوهاب} آل عمران 8 .**

**و قال عن أهل الكهف : { ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا} الكهف 10, و قال : { لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه و تفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون}يوسف 111, و قال : { وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبيّن لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون} النحل 64, و قال : { ونزلنا عليك الكتاب  تبيانا لكل شيء و هدى و رحمة و بشرى للمؤمنين } , و قال: { يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين} يونس 57.**

**ثم أعاد سبحانه ذكرهما فقال : { قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا} يونس 58 .**

**و قد تنوعت عبارات السلف في تفسير الفضل و الرحمة , و الصحيح أنهما الهدى والنعمة , ففضله هداه , و رحمته نعمته ( و قال أبو سعيد الخدري و ابن عباس رضي الله عنهما: فضل الله القرآن , و رحمته الإسلام , و عنهما أيضا : فضل الله القرآن و رحمته أن جعلكم من أهله, وعن الحسن , و الضحّاك , ومجاهد و قتادة فضل الله : الإيمان , و رحمته القرآن . تفسير القرطبي 8\226) و لذلك يقرن بين الهدى والنعمة كقوله في سورة الفاتحة : { اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم} 5-6.**

**و من قوله لنبيه يذكره بنعمته عليه : { ألم يجدك يتيما فآوى و وجدك ضالا فهدى و وجدك عائلا فأغنى}الضحى 6-8, فجمع له بين هدايته له و انعامه عليه بايوائه و اغنائه .**

**و من ذلك قول نوح : { يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربي و رزقني منه رزقا حسنا } هود88 , و قال عن الخضر :{ فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنّا علما} الكهف 65.**

**و قال لرسوله صلى الله عليه وسلّم : { إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخّر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا} الفتح1-3, وقال : { و أنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما}النساء 113, وقال : { ولولا فضل الله عليكم و رحمته ما زكى منكم من أحد أبدا} النور21, ففضله هدايته , و رحمته إنعامه وإحسانه إليهم وبره بهم .**

**و قال : { فإما يأتينّكم مني هدى فمن اتّبع هداي فلا يضلّ ولا يشقى} طه 123, و الهدى منعه من الضلال, والرحمة منعته من الشقاء , و هذا هو الذي ذكره في أوّل السورة في قوله : { طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى} طه 1-2, فجمع له بين إنزال القرآن عليه و نفى الشقاء عنه , كما قال في آخرها في حق أتباعه : { فلا يضل ولا يشقى } طه 123.**

**فالهدى والفضل والنعمة و الرحمة متلازمات لا ينفك بعضها عن بعض, كما أن الضلال و الشقاء متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر, قال تعالى : { إن المجرمين في ضلال و سعر } القمر 47, و السعر جمع سعير وهو العذاب الذي في غاية الشقاء. وقال تعالى : { و لقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن و الإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون} الأعراف 179, و قال تعالى عنهم : { وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير} الملك 10.**

**و من هذا أنه سبحانه يجمع بين الهدى و انشراح الصدر و الحياة الطيّبة وبين الضلال و ضيق الصدر و المعيشة الضنك , قال تعالى : { فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام  و من يرد أن يضله يجعل صدره ضيّقا حرجا } الأنعام 125, و قال : { أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه} الزمر22.**

**وكذلك يجمع بين الهدى والانابة والضلال وقسوة القلب, قال تعال:{ الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب}الشورى13, وقال تعالى:{ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين} الزمر 22.**

**[76] الهدى والرحمة وتوابعهما من صفة العطاء**

**و الهدى و الرحمة , و توابعهما من الفضل و الإنعام , كله من صفة العطاء , و الإضلال و العذاب , و توابعهما من صفة المنع , و هو سبحانه يصرف خلقه بين عطائه و منعه , و ذلك كله صادر عن حكمة بالغة , و ملك تام , و حمد تام , فلا اله إلا الله .**